محبطات الأعمال
دراسة قرآنية موضوعية

د. عماد كريم حمد العيثاوي
كلية الإمام الأعظم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أفإن القرآن الكريم هو أعظم رسالة سماوية وأعلاها مكانة، وأجلّها معجزة، وأكملها نظاماً ومنهجاً، وقد تولى الله سبحانه وتعالى حفظه بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]، وكان هذا الوعد الإلهي مزية للقرآن الكريم من بين الكتب السماوية، إذ بدلت تلك وحرفت، وسيظل القرآن الكريم بإذن الله المصدر الثري للأمة الإسلامية، فهو معينها الذي لا ينضب، وهو كنزها الذي لا يفنى.

وقد عني علماء المسلمين بكتاب الله العزيز عناية فائقة، وما زالت ألسنتهم وأقلامهم تخط في تفسيره، وبيان مسالكه، وهم في ذلك يرمون تيسير فهم كتاب الله تعالى واستنباط ما فيه، ويحرصون على تعليمه، ولقد منَّ الله تعالى عليَّ بفضله وواسع كرمه أن أشارك في خدمة كتابه العزيز، فكتبت مستعيناً بالله تعالى هذا البحث الموسوم **(محبطات الأعمال- دراسة قرآنية موضوعية)**.

وكان سبب اختياري للموضوع هو الوقوف على محبطات الأعمال والحذر منها، ليأمن المسلم من الإفلاس يوم القيامة، حين تذهب أعماله هباءً لا قيمة لها، وليجمع همته على الاشتغال بالأعمال الصالحة النافعة، نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

أما عملي في هذا البحث فهو إنني جمعت الآيات التي تناولت المحبطات، ثم بينت معنى الحبوط وأنواعه وأسبابه، ودرست الآيات ذات العلاقة دراسة موضوعية معتمداً في ذلك على أقوال المفسرين.

وقد قسمت البحث على مباحثين:

المبحث الأول: تناولت فيه تعريف الحبوط، بينت فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي، وبينت الكلمات ذات الصلة، وورد لفظة الحبوط في القرآن الكريم، وأنواعه.

المبحث الثاني: تناولت أسباب حبوط العمل، واشتمل على دراسة الآيات التي تناولت الحبوط. إذ بينت المعنى العام للآيات، وعلاقة الآية بالحبوط، وإن كان للآية سبب في نزولها مهدت به.

وختمت البحث بخاتمة لخصت فيها أهم ما جاء فيه.

سائلاً الله تعالى أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، والله الهادي لسواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

المبحث الأول
تعريف الحبوط

أولا- معنى الحبوط:

١- الحبوط في اللغة.

حَبَطَ من باب سمع، ويتعدى بالهمزة يقال أحبط. وحَبَطَ عَمَلُه يَحْبُط حَبْطاً وحُبُوطاً بسكون الباء، وحَبِطَ بطنُه إذا انْتَفَخَ يَحْبَطُ حَبَطاً، فهو حَبِطٌ[٢].

وحَبط عمل الرجل يحبط حَبطًا وحبوطا وأحبطه الله إحباطا وحَبطًا إذا انحط. والحبط: أَن تَأْكُل الْمَاشِيَة الْكلأ حَتَّى تنتفخ بطونها وَهُوَ الحباط إِذا أَصَابَهَا ذَلِك[٣].

قال الزمخشري: حَبطَ بطنه: إذا انتفَخ فهلك حَبطاً، وحَبِط عملُه حبْطاً بالسكون. أراد: إنّ الدنيا مُونقِةٌ تعْجب الناظرين فيستكثرون منها فَتُهْلِكهم كالماشية إذا استكثرتْ من المرعى حبطت، وذلك مثل للمسرف[٤].

من هذا فالحبوط والإحباط والحبط واحد، ويفيد بطلان الشيء.

٢- الحبوط في الاصطلاح.

الحبوط: بطلان العمل، أو هو فساد في الشيء الصالح يأتي عليه من وجه تظن به صلاحه[٥].

من هذا يظهر أن الحبوط يعني بطلان الأعمال التي يظن صاحبها فيها أو في نفسه خيراً.

ثانياً- الألفاظ ذات الصلة:

يشارك معنى الحبوط عدد من المفردات، من أهمها:

الإزهاق: الإزهاق والزهوق والزهق: الهلاك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[٦]، أي: من شأن الباطل إذا جاء الحق أن يذهب ويبطل ولا يثبت[٧].

الباطل: قال تعالى: ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[٨]، والباطل وهو نقيض الحق، والجمع أباطيل، بَطَل الشيءُ يَبْطُل بُطْلاً وبُطُولاً وبُطْلاناً ذهب ضياعاً وخُسْراً، فهو باطل، وأَبْطَله هو ويقال ذهب دَمُه بُطْلاً أي هَدَراً وبَطِل[٩].

قال أبن عاشور- رحمه الله-: والباطل: الشيء الذي يذهب ضياعا وخسرانا[١٠].

التتبيب: النقص والخسار المؤدي للهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[١١]، أي: في خسران[١٢].

الخسران: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾[١٣]، والخسر: النقصان، والخسران كذلك، والفعل: خسر يخسر خسراناً[١٤].

الفسادُ: وهو نقيض الصلاح، فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ وفَسُدَ فَساداً وفُسُوداً فهو فاسدٌ وفَسِيدٌ فيهما، ولا يقال انْفَسَد وأَفْسَدْتُه أَنا وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾[١٥] نصب فساداً لأَنه مفعول له أَراد يَسْعَوْن في الأَرض للفساد[١٦].

المحق: قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[١٧]، ومَحَقَهُ اللهُ فانمَحَقَ وامتَحَقَ: أي ذَهَبَ خيرُه وبَرَكَتُه ونَقَصَ[١٨].

ثالثاً- مادة (حبط) في القرآن الكريم:

وردت مادة حبط في القران الكريم خمس عشرة مرة مع المكرر، بتسع صيغ، كالآتي:

﴿**تَحْبَطَ**﴾: [الحجرات: ٢] مرة واحدة.

﴿**حَبِطَ**﴾: [المائدة: ٥] مرة واحدة.

﴿**حَبِطَتْ**﴾: [البقرة: ٢١٧]، [آل عمران:٢٢]، [المائدة:٥٣]، [الأعراف: ١٤٧]، [التوبة : ٦٩]، [التوبة: ١٧] ست مرات.

﴿**فَأَحْبَطَ**﴾: [الأحزاب: ١٩]، [محمد: ٩- ٢٨] مرتان.

﴿**فَحَبِطَتْ**﴾: [الكهف: ١٠٥] مرة واحدة.

﴿**لَحَبِطَ**﴾: [الأنعام: ٨٨] مرة واحدة.

﴿**لَيَحْبَطَنَّ**﴾: [الزمر: ٦٥] مرة واحدة.

﴿**وَحَبِطَ**﴾: [هود: ١٦] مرة واحدة.

﴿**وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ**﴾: [محمد: ٣٢] مرة واحدة[١٩].

رابعاً- أنواع الحبوط:

إن الحبوط آتى على ضروب كثيرة ذكرها الإمام الراغب وهي:

أحدها- أن تكون الأعمال دنيوية، فلا تغني في القيامة غناءً، كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٢٠].

والثاني- أن تكون أعمالاً أخروية، لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى.

والثالث- أن تكون أعمالاً صالحة؛ ولكن بإزائها سيئات توفي عليها، وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان[٢١].

المبحث الثاني
أسباب حبوط العمل

بينت الآيات القرآنية التي ورد فيها حبوط الأعمال الأسباب المؤدية إلى هذا الحبوط، محذرة من سلوك هذا المسلك، مرهبة من اتباع سنن هؤلاء. وسأورد هذه الأسباب على حسب ورود آياتها في القرآن الكريم، وقد انحصرت هذه الأسباب بما يأتي:

أولا- الردة:

جاء ذكر الردة في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[٢٢].

سببُ نزول هذه الآية: أن النبيّ ﷺ بعث بعثاً في جُمادى الآخرة قبل وقعة بدرٍ بشهرين، ليترصّدوا عِيراً لقريش، فهاجموا قريشاً وقتلوا منهم عمرو بن عبد الله الحضرمي، كما أسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة، والحكَم بن كيسان، واستاقوا العِير والأسيرين إلى المدينة المنورة، وكان ذلك في غُرة رجب، وهو من الأشهر الحُرم. وكانوا يظنونه آخر يوم من جمادى الآخرة، فقالت قريش: لقد استحلّ محمدٌ الشهر الحرام. وقامت اليهود تشهّر بالنبيّ ﷺ وبالمسلمين، ويقولون: عمرو، عَمُرت الحرب؛ والحضرمي، حضرت الحرب، وواقد، وقدت الحرب. وكان واقد بن عبد الله هو الذي قتل عمرو بنَ الحضرمي. فلما أكثر الناسُ في ذلك نزلت هذه الآية[٢٣].

المعنى العام: أي يسألونك يا محمد عن القتال في الشهر الحرام، فقل لهم: إن القتال فيه أمرٌ مستنكَر؛ لكن ما ارتكبتموه أنتم من الكفر بالله، والصدّ عن بيته، وإخراج المسلمين منه، والشرك الذي أنتم عليه، والفتنة التي حصلت منكم؛ كل ذلك أكبر عند الله من قتالكم في الشهر الحرام. لذلك أباح الله لنا القتال في الشهر الحرام لقمع هذه الشرور، على أساس اختيار أهون الشريّن.

واعلموا أيها المسلمون أن سبيل هؤلاء معكم سبي التجني والظلم، وأنهم سيظلون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، إذ لا همّ لهم إلا منع الإسلام عن الانتشار؛

إذن فإن انتظاركم إيمانهم بمجرد الدعوة طمعٌ منكم في غير مطمع، والقتال في الشهر الحرام أهون من الفتنة عن الإسلام، ومن يضعف منكم أمام هجماتهم ويرتد عن دينه ثم يموت على الكفر، فأولئك بطلت أعمالهم، وأولئك أهل النار هم فيها خالدون[٢٤].

علاقة الآية بالحبوط: إن الحبوط هنا مترتب على ارتداد المسلم عن دينه، والموت على ردته[٢٥]. فالردة تمحق ما قدمه المسلم من عمل قبل ردته، حتى يصير هباءً، فالردة عن الدين هي الخطر الأعظم، لا خسارة جولة في معركة؛ لأن المعارك كرّ وفرّ، ولكن الردة تؤدي إلى خسران مبين، ففيها تتجسد جميع معاني الحبوط، والعقوبة تناسب الجرم تماماً، فالمرتد سيكون أنموذجاً لغيره، وقد يشجع بفعله هذا آخرين، كما أن موجبات الردة غير مقبولة، فليس من المعقول أن يخرج الإنسان من النور إلى الظلمات، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[٢٦].

ثانياً - قتل الأنبياء بغير حق:

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾[٢٧].

المعنى العام: إن الله تعالى وصف هؤلاء المارقين بصفات ينفر منها كل عاقل، فقد وصفهم أولا بأنهم: ﴿يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: لا يكتفون بالكفر بالله تعالى، بل يكفرون بالآيات المثبتة لوحدانيته، وبالرسل الذين جاءوهم بالهدى والحق.

ووصفهم ثانياً بأنهم ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وقتل النبيين بغير حق فعل معروف عن اليهود، فهم الذين قتلوا نبي الله زكريا عليه السلام؛ لأنه حاول أن يخلص ابنه يحيى عليه السلام من القتل، وقتلوا يحيى لأنه لم يوافقهم في أهوائهم، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام؛ ولكن الله تعالى نجاه من مكرهم، وحاولوا قتل رسول الله ﷺ.

فإن قيل: إن اليهود ما قتلوا كل الأنبياء، فلم أخبر القرآن عنه أنهم يقتلون النبيين ولم يقل يقتلون بعض النبيين؟

فالجواب: أنهم بقتلهم بعض النبيين فقد استهانوا بمقام النبوة، ومن استهان بمقام النبوة بقتله بعض الأنبياء؛ فكأنه قد قتل الأنبياء جميعاً، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٢٨]، فمن تجرأ على قتل بعضهم سيتجرأ على قتل غيرهم[٢٩]. وقيد القتل بأنه ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ مع أن قتل الأنبياء لا يكون بحق أبداً، للتصريح بموضع الاستنكار؛ لأن موضع الاستنكار هو اعتداؤهم على الحق بقتلهم الأنبياء، وللإشارة إلى أنهم لتوغلهم في الظلم والعدوان قد صاروا أعداء للحق لا يألفونه ولا تميل إليه نفوسهم، وللتسجيل عليهم أن هذا القتل للأنبياء كان مخالفاً لما في شريعتهم فإنها قد نهتهم عن قتلهم، بل عن مخالفتهم، فهذا القيد من باب الاحتجاج عليهم بما نهت عنه شريعتهم لتخليد مذمتهم في كل زمان ومكان. وقال سبحانه بأنه ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ بصيغة التنكير لعموم النفي، بحيث يتناول الحق الثابت، والحق المزعوم، أي: إنهم لم يكونوا معذورين بأي لون من ألوان العذر في هذا الاعتداء، فقد أقدموا على ما أقدموا عليه وهم يعلمون أنهم على الباطل، فكان فعلهم هذا إجراماً في بواعثه وفي حقيقته، وأفظع أنواع الإجرام في موضوعه[٣٠].

وعبر عن جرائمهم بصيغة الفعل المضارع (يكفرون) و(يقتلون) لاستحضار صورة أفعالهم الشنيعة في أذهان المخاطبين، ولإفادة أن أفعالهم هذه متجددة كلما استطاعوا إليها سبيلاً، وللإشعار بأن اليهود المعاصرين للنبي ﷺ كانوا راضين بفعل آبائهم وأسلافهم، ولقد حاول اليهود في العهد النبوي أن يقتلوا النبي ﷺ؛ ولكن الله تعالى نجاه من شرورهم. وأخبر سبحانه بفساد أعمالهم في الدنيا والآخرة فقال: ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ والمراد بحبوط أعمالهم: إزالة آثارها النافعة من ثواب في الآخرة وحياة طيبة في الدنيا؛ لأنهم عملوا ما عملوا وهم لا يرجون الله وقاراً. وجيء باسم الإشارة في صدر الآية، لتمييز أصحاب تلك الأفعال القبيحة أكمل تمييز، وللتنبيه على أنهم أحقاء بما سيخبر به عنهم بعد اسم الإشارة.

وكانت الإشارة للبعيد، للإيذان ببعدهم عن الطريق القويم، والخلق المستقيم[٣١].

علاقة الآية بالحبوط: إن علاقة الآية بالحبوط فضلاً عما ذكر من خسران أعمالهم، فالمعنى يتوافق مع المعنى الاصطلاحي للحبوط، من أن الشخص يعمل وهو يظن أنه يعمل عملاً حسناً؛ ولذلك كان اختيار لفظ الحبوط هنا متوافقاً فعلاً مع أفعال اليهود، فهم حين قتلهم للأنبياء، عليهم السلام يعتقدون في أنفسهم الخير، وأنهم يحمون أو يدافعون عن معتقداتهم ودينهم ومجتمعاتهم المنغلقة، ومن شواهد هذا محاولتهم قتل رسول الله ﷺ برمي الحجر عليه، أو بتسميم الشاة[٣٢]، فهم مع علمهم أن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً؛ ولكنهم يعتقدون في خبيئة أنفسهم أنهم بقتل النبي ﷺ سوف يحافظون على دينهم ويمنعون الإسلام من الانتشار بين أوساطهم، أي: إنهم يعتقدون الخيرية في نفوسهم مع أنهم شر خلق الله على الأرض.

ثالثا- الكفر:

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾[٣٣].

المعنى العام: بعد أن بينت الآية ما يحل للمسلمين من أكل وطعام، وبين الأحكام المرتبطة بالنكاح، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾، يعني: ومن يجحد ما أمر الله تعالى به من توحيده ونبوة رسوله ﷺ وما جاء به من عند الله ﴿ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾، يعني: فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة[٣٤].

وقيل في معنى الآية: ومن يكفر بشرائع الإيمان وتكاليفه فقد خاب وخسر. وقال قتادة[٣٥]: ذكر لنا أن ناساً من المسلمين قالوا: كيف نتزوج نساءهم؟ يعني نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا، فأنزل الله تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين. وقيل: لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات، قلن فيما بينهن لولا أن الله قد رضي أعمالنا لم يُبِحْ للمؤمنين تزويجنا، فأنزل الله هذه الآية، والمعنى: أن تزوج المسلمين إياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر. وقيل: إن أهل الكتاب وإن حصلت لهم في الدنيا فضيلة بإباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم، إلا أن ذلك غير حاصل لهم في الآخرة؛ لأن

كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد ﷺ، فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين. وقيل: إن من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله أو جحد بشيء مما أنزل الله، فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم، ﴿وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لأنه إذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح إيمانه(٣٦).

علاقة الآية بالحبوط: إن علاقة الآية بالحبوط يظهر من وجهين:

الأول: إن كان المراد بالكفر هنا هو الكفر بالله وجحود نبوة الرسول ﷺ، فالحبوط هنا يوافق المعنى اللغوي من أنه دال على خسران الكافر لعمله.

الثاني: إن كان الكفر بالشرائع والأحكام المنزلة والتكاليف، فهو يوافق المعنى الاصطلاحي من ناحية، والمعنى اللغوي من ناحية أخرى، أما موافقته للمعنى اللغوي فمفهوم؛ لأنه كفر بما أمر به الله تعالى، وأما على المعنى الاصطلاحي، فبعض المتنطعين في الدين لاذ يظنون أن بتشددهم في الدين وإعراضهم عن بعض الرخص أو بعض الأحكام أنهم يحسنون صنعاً، وأنهم يفعلون ما يفعلوه غيرة على هذا الدين؛ ولكنهم في حقيقة الحال يسيئون ويكفرون من حيث لا يعلمون.

رابعاً- النفاق:

وردت الإشارة إلى النفاق في ثلاث آيات كريمات، هي:

قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾(٣٧).

هذه صورة بعض ما عليه المنافقون من سلوكيات متناقضة، إذ يتساءل المؤمنون ويقول المؤمنون الصادقون بعضهم لبعض ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ﴾ أي: بالنصرة والمعونة، أي: يقول الذين آمنوا بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين إذ أغلظوا بالإيمان لهم، وأقسموا أنهم معكم، وأنهم معاضدوكم على أعدائكم اليهود، فلما حلَّ باليهود ما حلَّ أظهروا ما كانوا يسرونه من موالاتهم والتمالئ على المؤمنين(٣٨).

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾، والمعنى بطلت أعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعياً بليغاً حيث لم تكن لكم دولة كما ظنوا فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق، وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى، وشهادة المؤمنين بمضمونها على تقدير أن يكون المراد به خسران دنيوي وذهاب الأعمال بلا نفع يترتب عليها، هو ما أملوه من دولة اليهود مما لا إشكال فيه، وعلى تقدير أن يكون المراد أمراً أخروياً، فيحتمل أن يكون باعتبار ما يظهر من حال المنافقين في ارتكاب ما ارتكبوا، وأن تكون باعتبار إخبار النبي ﷺ بذلك[٣٩].

علاقة الآية بالحبوط: إن كان المراد بالحبوط الخسران الدنيوي أو الأخروي، فكلاهما متحقق في المعنى الاصطلاحي للحبوط، فهم ما كانوا يعتقدون أنهم سيفضحون بهزيمة اليهود، ولا كانوا يعتقدون أن أفعالهم المشينة خافية على الله تعالى، فقد كانوا يتصورون أنهم بمأمن من العقاب، فهم كانوا يعتقدون أنهم أحسنوا التدبير، ولكن الله تعالى خيَّب مسعاهم، وأحبط نواياهم، فباؤوا بالخسران المبين.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[٤٠].

المعنى العام: وعد الله هؤلاء المنافقين والكفار جميعاً نارَ جهنّم يدخلونها ويَصلَونها خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً، وهي حسبُهم عِقابا، وعليهم مع هذا العقاب غضبُ الله وعذابه الدائم، ثم بعد ذلك يذكِّر الله تعالى هؤلاء القومَ بما كان من أسلافهم، ويبصِّرُهم بأنهم يسلكون طريقَهم، ويحذّرهم أن يُلاقوا مصيرَهم، لعلّهم يهتدون، ويرهبهم من اتباع سنن الذين من قبلهم، ولكن مع الفارق، ولا سيما وقد كان أولئك أقوى منكم وأكثّر أموالاً وأولاداً، وقد استمتَعوا بما قُدِّرَ لهم من حظوظ الدنيا، وأعرضوا عن ذِكر الله وتقواه، وقابلوا أنبياءَهم بالاستخفافِ وسخِروا منهم فيما بينهم وبين أنفسِهم، وقد استمتعتُم أنتم بما قُدر لكم من ملاذّ الدنيا، وحَذَوْتم حذوهم ودخلتم في الباطل كما دخلوا، وخضتم فيما خاضوا فيه، وسلكتم سبيلَهم في طريق الضلال، ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا

﴿وَٱلْآخِرَةَ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾، إن أولئك المستمتعين بملذّاتهم في الدنيا، والخائضين في الباطل، بَطَلَت أعمالهم بطلاناً أساساً فلا تنفعْهم في الدنيا ولا في الآخرة، وخسروا كل شيء وأنتم مثلهم في سوء الحال والمآل(٤١).

علاقة الآية بالحبوط: إن علاقة الحبوط بالآية يظهر جلياً بموافقته المعنى اللغوي، من حيث إنهم خسروا الدنيا والآخرة، وموافقته المعنى الاصطلاحي من حيث إنهم كانوا يعتقدون أنهم يحسنون صنعاً لإنكارهم النبوات والبعث والحساب، فعاشوا حياتهم كما كانوا يشتهون، فتمتعوا بملذات الحياة الدنيا وكأن هذه الملذات هي خاتمة المطاف.

وقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾(٤٢).

المعنى العام: يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب، والمثبطين لهمم إخوانهم، بدعوتهم إلى الإقامة في الظلال والثمار، ولكنهم مع ما يبدوه لكم من محبة زائفة، ولكنهم بخلوا عليكم بالمشورة والنصيحة، أو ظنوا عليكم بالحصول على الغنائم، ﴿فَإِذَا جَاءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ من شدة خوفهم وجزعهم، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي: فإذا كان الأمن، تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك. هؤلاء الموصوفون لم يصدّقوا الله ورسوله؛ لأنهم أهل كفر ونفاق، ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، أي: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها(٤٣).

علاقة الآية بالحبوط: وافق لفظ الحبوط السياق القرآني، فهؤلاء المنافقون لم يؤمنوا قط، يعيشون في حالة دائمة من الإحباط، فهم يظهرون المودة ويثبطون عزائم المجاهدين؛ ولكن هؤلاء لا يبالون بنصائحهم، ولا يقعدون عن الجهاد، ثم يرى المنافقون الخوف بأعينهم، فتخور قواهم، ويحبط سعيهم، وإن أرادوا أن يتلونوا بلون آخر، وهاجموا المؤمنين ونالوا منهم بألسنتهم إن أحسوا بالاطمئنان؛ لكن فعلهم هذا حبط إذ فضحوا أنفسهم من حيث لا يشعرون، مثلما فضحوا أنفسهم بالقعود عن الجهاد، فأحبط الله تعالى

أعمالهم في الدنيا، وجاءوا في الآخرة وقد حبط ما عملوه في الدنيا، وكان هناك الخسران العظيم.

خامساً- الشرك:

وردت ثلاث آيات شريفات تتحدث عن علاقة الحبوط بالشرك، هي:

قولـــه تعـــالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾[٤٤].

يخبر الله تعالى أن الهدى إلى الطريق المســتقيم، هــو هــدى الله، والإضــافة للتشريف فيهدي به من يشاء من عباده إلى هدايته، وهم المستعدون لذلك، وفــي تعليــق الهداية بالموصول إشارة إلى علية مضمون الصلة ويفيد ذلك أنه تعالى متفضل بالهدايــة. ولو أشرك أولئك المذكورون ﴿لَحَبِطَ﴾، أي: لبطل وسقط ﴿عَنۡهُم﴾ من فضلهم وعلــو شأنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، أي: ثواب أعمالهم الصالحة، فكيف بمن عداها[٤٥]؟

علاقة الآية بالحبوط: بينت الآية أن المؤمنين إذا أشركوا حبط عملهــم، ســواء أكان الشرك بمعنى الردة، فهو كالردة في أحكامه، وإن كان جراء بعــض المعتقــدات أو الأفعال الشركية، فهو في هذه الحالة يتوافق مع المعنى الاصطلاحي للحبوط، إذ إن هؤلاء يظنون في أنفسهم الخير؛ ولكنهم ابعد ما يكونون عنه، كما قال تعــالى: ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾[٤٦].

وقول جل جلاله: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾[٤٧].

المعنى العام: لا ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيــت علــى اسمه وحده لا شريك له، ومنها المسجد الحرام، بالإقامة فيها للعبادة، أو للخدمة أو للولاية عليها، ولا يزوروا المسجد الحرام حجاجاً ومعتمرين، وقد شهدوا على أنفسهم بالكفر قولاً وعملاً، بعبادتهم الأصنام، والاستشفاع بها، والسجود لما وضعوه منها في الكعبة عقب كل شوط من طوافهم، إذ إن عملهم هذا يعدُّ جمعاً للنقيضين، فإن عمــارة المســجد الحــرام الحسية إنما تكون بعمارته المعنوية بالعبادة لله وحده، وذلك لا يقع إلا من المؤمن الموحد.

أما المشركون، فإنهم يشركون بالعبادة مع الله غيره، ويساوون الله ببعض خلقه في العبادة، وهؤلاء المشركون بالله، والكافرون به، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أي: هلكت أعمالهم وبطلت وذهب ثوابها لكفرهم بما كانوا يفخرون به: من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج، وقرى الضيف، وصلة الرحم. بسبب شركهم، وسيكونون في جهنم خالدين أبداً(٤٨).

علاقة الآية بالحبوط: إن الحبوط متحقق في أعمال المشركين لضلال عباداتهم المقترنة بالشرك من جهة؛ ولأنهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً وأنهم يتقربون إلى الله تعالى بعبادة الأصنام، فوافق توظيف الكلمة السياق العام للآية، فعبرت الكلمة عن حقيقة أعمالهم ومصيرها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾(٤٩).

المعنى العام: قال ابن العربي: «هذا وإن كان خطابا للنبي ﷺ فقد قيل: إن المراد بذلك أمته، وكيفما تردد الآمر فإنه بيان أن الكفر يحبط العمل كيف كان، ولا يعني به الكفر الأصلي؛ لأنه لم يكن فيه عمل يحبط، وإنما يعني به أن الكفر يحبط العمل الذي كان مع الإيمان؛ إذ لا عمل إلا بعد أصل الإيمان، فالإيمان معنى يكون به المحل أصلاً للعمل لا شرطاً في صحة العمل (ثم قال:) لأن الأصل لا يكون شرطاً للفرع، إذ الشروط أتباع فلا تصير مقصودة، إذ فيه قلب الحال وعكس الشيء، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾(٥٠). وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾(٥١)، فمن كفر من أهل الإيمان حبط عمله، واستأنف العمل إذا أسلم، وكان كمن لم يسلم ولم يكفر، لقوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾(٥٢)، والإسلام والهجرة يهدمان ما قبلهما من باطل، ولا يكون إيماناً إلا باعتقاد عام على الأزمان، متصل بتأبيد الآبد... فإنه لا يتبعض وإن أفسد فسد جميعه، وهو حكم لا يتجزأ شرعاً»(٥٣).

وهذا الكلام على سبيل الفرض لتهييج المخاطب المعصوم، وإقناط الكفرة والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه، فالاستدلال بالآية على جواز صدور الكبائر من الأنبياء عليهم السلام، ليس

بشيء فاحتمال الوقوع فرضاً كافٍ في الشرطية؛ لكن ينبغي أن يعلم أن استحالة الوقوع شرعية[٥٤].

علاقة الآية بالحبوط: إن إيراد الحبوط هنا لبيان جريرة الشرك وعظم خطرها، فإن كن الأنبياء المعصومين، عليهم السلام إن أشركوا سيحبط الله تعالى عملهم، فما بالكم أنتم؟ والحبوط هنا يوافق ما وضع له من معنى.

سادساً- التكذيب:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[٥٥].

المعنى العام: أن من كذب بما أنزله الله تعالى من الآيات الداعية إلى توحيده، ومنها القرآن الكريم، وأنكر لقاء لآخرة، فمن فعل ذلك واستمر عليه إلى الممات، حبط عمله، وإنما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وكما تدين تدان[٥٦].

ويبين قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[٥٧]، أي: الجزاء الذي يلقونه، فهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار.

قال رسول الله ﷺ: «**قال أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[٥٨].

وقيل: يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة، كأنه قال: فلا قدر لهم عندنا يومئذ[٥٩].

علاقة الآية بالحبوط: الحبوط هنا بمعنى الخسران، إذ إن التكذيب بما أنزله الله لا جزاء له إلا ذلك، فقد جاء الحبوط هنا على أصله اللغوي.

سابعاً- الاستمتاع بالدنيا:

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٦٠].

المعنى العام: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، والمراد بالزينة هنا كل من عمل عملاً يريد به غير الله عز وجل، فأولئك نوف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبهها. وهم لا تنقص حظوظهم في الدنيا، فليس لهؤلاء من ثواب إلا النار، وحبط ما صنعوا في الدنيا وبطل ما كانوا يعملون[٦١].

وذكر اختلاف العلماء في معنى هذه الآية، فقال مجاهد[٦٢] هم أهل الرياء. وقيل: هذا في الكفار، وأما المؤمن: فيريد الدنيا والآخرة، وإرادته الآخرة غالبة، فيجازَى بحسناته في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة[٦٣].

علاقة الآية بالحبوط: يلاحظ أن الحبوط هنا متحقق من وجهين على تبع اختلاف أقوال المفسرين، فأهل الرياء من المؤمنين يظنون أنهم يحسنون صنعاً ولا يخطر في بالهم أن ما يفعلوه من رياء أو سمعة يحبط عملهم، وأما الكفار فهم يظنون أنهم على خير لتكذيبهم أصلاً بالبعث والنشور.

تاسعاً- كراهية ما أنزل الله:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾[٦٤].

المعنى العام: تبين الآية الكريم مصير من كره ما أنزله الله تعالى على نبيه الكريم ﷺ، يعني القرآن الذي فيه النور والهدى، وإنما كرهوه؛ لأن فيه الأحكام والتكاليف الشاقة على النفس؛ لأنهم كانوا قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ، فشق عليهم ذلك، والأخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله، فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾، يعني: فأبطل أعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله[٦٥].

علاقة الآية بالحبوط: ارتبط ذكر الحبوط هنا بأعمال الكافرين الذين كرهوا دين الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد بالحبوط هنا خسران ما علموه وجهدوا فيه من أجل إعاقة الدعوة النبوية، ومنع انتشارها، ولكن الله تعالى أحبط مسعاهم هذا.

عاشراً- اتباع ما يسخط الله :

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾[٦٦].

المعنى العام: تأتي هذه الآية في سياق الآية السابقة، وتبين بعض ما عليه من كره ما أنزل الله تعالى من صفات، فهم يتبعون ما يسخط الله تعالى من الكفر والمعاصي، وكرهوا ما يرضاه من الإيمان والطاعة إذ كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود من أجل ذلك أحبط الله تعالى أعمالهم التي عملوها حال إيمانهم من الطاعات، أو بعد ذلك من أعمال البر التي لو عملوها حال الإيمان لانتفعوا بها، فالكفر والمعاصي سبب لإحباط الأعمال وباعث على العذاب والنكال[٦٧].

علاقة الآية بالحبوط: ههنا تعلق الحبوط بفشل مسعاهم الدنيوي أيضاً، أي: محاولاتهم لإعاقة الدعوة، أو أن المراد حبوط أعمالهم بسبب ردتهم، وعلى كلا المعنيين وافق إيراد الحبوط المراد معنى ودلالة.

احد عشر- مشاقاة الرسول ﷺ :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[٦٨].

المعنى العام: الظاهر أن المعنيّ بالذين كفروا هنا الذين كفروا المذكورون في أول هذه السورة وفيما بعد من الآيات التي جرى فيها ذكر الكافرين، أي: الكفار الصرحاء، فبعد أن أخبر الله أنه أضل أعمالهم وأنهم اتبعوا الباطل وأمر بضرب رقابهم وأن التعس لهم وحقَّرهم بأنهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وأن الله أهلك قرى هي أشد منهم قوة، ثم جرى ذكر المنافقين، بعد ذلك ثُني عنان الكلام إلى الذين كفروا أيضاً ليعرِّف الله المسلمين بأنهم في هذه المآزق التي بينهم وبين المشركين لا يَلحقهم منهم أدنى ضُرّ، وليزيد وصف الذين كفروا بأنهم شاقّوا الرسول ﷺ وفعل (شاقُّوا) مشتق من كلمة شِق بكسر الشين وهو الجانب، والمشاقة المخالفة، كني بالمشاقة عن المخالفة؛ لأن المستقر بشِق مخالف للمستقر بشق آخر فكلاهما مخالف، فلذلك صيغت منه صيغة المفاعلة[٦٩].

وبينت الآية مدى ضلال هؤلاء، فقد تبيَّن لهم الهدى، وظهور ما في دعوة الإسلام من الحق الذي تدركه العقول إذا نبهتْ إليه، وظهور أن أمر الإسلام في ازدياد ونماء، وأن أمور الآخرين في إدبار، فلم يردعهم ذلك عن محاولة الإضرار بالرسول ﷺ.

وقيل: المراد بالذين كفروا في هذه الآية يهود قريظة والنضير، وعليه فمشاقتهم الرسول ﷺ مشاقة خفية مشاقَّة كيد ومكْر، وتبيُّن الهدى لهم ظهور أن محمداً ﷺ هو الموعود به في التوّراة وكتب الأنبياء، فتكون الآية تمهيداً لغزو قريظة والنضير[٧٠].

وجاءت الآية تسلية للنبي ﷺ وللمسلمين بأن كيدهم هذا لن يضرهم شيئاً، ومعنى إبطال أعمالهم بالنسبة لأعمالهم في معاملة المسلمين أن الله يلطف برسوله ﷺ والمسلمين بتيسير أسباب نصرهم وانتشار دينه، فلا يحصِّل الذين كفروا من أعمالهم للصد والمشاقة على طائل. وحرف الاستقبال هنا لتحقيق حصول الإحباط في المستقبل، وهو يدل على أن الله محبط أعمالهم من الآن، إذ لا يعجزه ذلك حتى يترصد به المستقبل[٧١].

علاقة الآية بالحبوط: بغض النظر عن الجهة التي تخاطبها الآية الكريمة، فالحبوط ملازم لأعمالهم لأنهم شاقوا النبي ﷺ وهذا سبب كافٍ لأن يبتليهم الله تعالى بالحبوط، سواء أكان حبوط ما خططوا له أونفذوه، أو حبوط ثوباهم في الآخرة.

اثنى عشر- التأدب مع رسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾[٧٢].

سبب النزول: صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما **قال:** «كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس[٧٣] أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر[٧٤].

المعنى العام: بينت الآية الشريفة حرمة النبي ﷺ ميتاً كحرمته حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه؛ فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الآزمنة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[٧٥]. وكلام النبي ﷺ من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة[٧٦].

وفي هذه الآية أدَّبَ الله المسلمين وبين لهم كيفية التعامل مع رسول الله ﷺ، فلا يقدموا قولاً، ولا فعلاً بين يدي الله وقول رسوله ﷺ وفعله فيما سبيله أن يأخذوه عنه ومن قدّم قوله أو فعله على الرسول ﷺ فقد قدمه على الله تعالى، لأن الرسول ﷺ إنما يأمر عن أمر الله عز وجل[٧٧].

علاقة الآية بالحبوط: يبين الحديث الشريف الآتي علاقة الآية بالحبوط فعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ جلس ثابت بن قيس[٧٨] في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت أشتكى؟ قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: بل هو من أهل الجنة»[٧٩].

فأسباب الحبوط هنا ليست كسابقها، فقد جعل الله تعالى فع الصوت فوق صوت النبي ﷺ بمنزلة الشرك والكفر والردة مما يدل على المنزلة السامقة لرسول الله ﷺ، وأن حبوط العمل هنا وبطلان الأعمال نتيجة حتمية، سواء أكان الحبوط بمعناه اللغوي وهو الخسران، أم بمعناه الاصطلاحي ذلك أن من يرفع صوته قد لا يظن أنه يسيء إلى مكانة الرسول ﷺ ومنزلته.

الخاتمة

من خلال هذا العرض للآيات الكريمة توصلت إلى عدة أمور منها: إن معنى الحبوط في اللغة هو فساد العمل وبطلانه، وأن معناه الاصطلاحي: بطلان عمل من يظن أنه يحسن صنعاً.

١. إن محبطات الأعمال على ضروب، فمنها ما أصله الكفر والشرك والنفاق والردة وكراهية ما أنزل الله، وكذلك رفع الصوت في حضرة النبي ﷺ.

٢. تبين من عرض آيات الحبوط أن الحبوط كبير الخطر عظيم الجلل وعلى المسلم أن يعرف أسبابه كي يتجنبها ويحذرها، ولاسيما أن بعض المسلمين يحسنون الظن بأعمالهم.

٣. الواجب على المسلم أن يراجع أعماله وأقواله بين الحين والآخر، للوقوف على مدى موافقتها للشرع، وأن يولي النقد الموجه إليه أهميته فلعل هذا النقد ينطوي على بعض الصحة، وأن لا يتصلب المؤمن في رأيه أو موقفه.

والله من وراء القصد.

الهوامش

(١) سورة الحجر: من الآية ٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: مادة (حبط) ٢٢٨/٤؛ تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية، بلا تاريخ: مادة (حبط) ١٩٢/١٩.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد، (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م: مادة (حبط) ٢٨١/١.

(٤) ينظر: الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط٢، بلا تاريخ: ١٤٠/٢.

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م: ١٣٥.

(٦) سورة الإسراء: من الآية ٨١.

(٧) ينظر: الوجوه والنظائر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: ١٢٩.

(٨) سورة الأعراف: من الآية ١٣٩؛ سورة هود: من الآية ١٦.

(٩) ينظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٦٨م: مادة (بطل) ٥٦/١١.

(١٠) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ: ٢٢٠/١١.

(١١) سورة غافر: من الآية ٣٧.

(١٢) ينظر: تفسير الماوردي- النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: ١٥٧/٥، وتاج العروس: مادة (تبب) ٥٦/٢.

(١٣) سورة الحج: من الآية ١١.

(١٤) ينظر: تهذيب اللغة: مادة (خسر) ٧٦/٧.

(١٥) سورة المائدة: من الآية ٣٣، ٦٤.

(١٦) لسان العرب: مادة (فسد) ٣٣٥/٣.

(١٧) سورة البقرة: من الآية ٢٧٦.

[١٨] ينظر: العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، بلا تاريخ: مادة (محق) ٥٦/٣.

[١٩] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ: ٨٨.

[٢٠] سورة الفرقان: الآية ٢٣.

[٢١] ينظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ٢٠٧- ٢٠٨.

[٢٢] سورة البقرة: الآية ٢١٧.

[٢٣] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (ت٣١٠هـ/ ١٩٢٢م)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ٣٠٣/٤؛ وينظر: أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، نشر وتوزيع دار الباز، سنة ١٣٨٨هـ: ٤٢/١.

[٢٤] ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (ت١٣٠٧هـ)، عني بطبعته وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م: ١/ ٢١٧؛ تيسير التفسير، لإبراهيم القطان، قام على مراجعته وضبطه: عمران أحمد أبو حجلة، مطابع الجمعية العلمية الملكية، الأردن، ١٩٨٢م: ١٢١/١.

[٢٥] ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٦/٢.

[٢٦] سورة البقرة: من الآية ٢٥٧.

[٢٧] سورة آل عمران: الآيتان ٢١- ٢٢.

[٢٨] سورة المائدة: من الآية ٣٢.

[٢٩] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م: ٢٢٩/١.

[٣٠] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٨: ٥٧٤/١.

[٣١] ينظر: التحرير والتنوير: ٦٣/٣.

[٣٢] ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، (ت٦٣٠هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٧٧هـ: ١٨٤/١.

[٣٣] سورة المائدة: من الآية ٥.

[٣٤] ينظر: جامع البيان: ٥٩٢/٩.

[٣٥] هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري، تابعي ثقة ثبت توفي سنة (١١٦هـ)، وقيل غيرها. ينظر: تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ت٨٥٢هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م: ٣١٥/٨.

[٣٦] ينظر: جامع البيان: ٥٩٢/٩؛ لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بـ(تفسير الخازن)، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ١٤/٢- ١٥.

[٣٧] سورة المائدة: الآيتان ٥٢- ٥٣.

[٣٨] ينظر: البحر المحيط، لأبي عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ: ٢٩٦/٤.

[٣٩] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ٣٢٧/٣.

(٤٠) سورة التوبة: الآيتان ٦٨- ٦٩.

(٤١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تفسير البيضاوي)، لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي، (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م: ٨٨/٣؛ تيسير التفسير: ١٥٠/٢.

(٤٢) سورة الأحزاب: من الآية ١٩.

(٤٣) ينظر: جامع البيان: ٢٣٠/٢٠- ٢٣٣؛ تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ٣٩٠/٦.

(٤٤) سورة الأنعام: الآية ٨٨.

(٤٥) سورة التوبة: الآية ١٧.

(٤٦) سورة النور: الآية ١٥.

(٤٧) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ: ١٥٩/٣؛ روح المعاني: ٢٠٤/٤.

(٤٨) ينظر: أيسر التفاسير، الدكتور أسعد محمود حومد، راجعه محمد متولي الشعراوي، أحمد حسن مسلم، قدم له: ابراهيم السلقيني، مطبعة أنصار السنة، دمشق، ط٤، ١٤١٩هـ/ ٢٠٠٩م: ١٢٥٣.

(٤٩) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٥٠) سورة الأنعام: من الآية ٨٨.

(٥١) سورة المائدة: من الآية ٥.

(٥٢) سورة الأنفال: من الآية ٣٨.

(٥٣) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الاشبيلي المعروف بـ(ابن العربي)، (ت٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه

وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ٧٩/٤.

(٥٤) ينظر: روح المعاني: ٢٧٨/١٢.

(٥٥) سورة الأعراف: الآية ١٤٧.

(٥٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٧٥.

(٥٧) سورة الكهف: الآية ١٠٥.

(٥٨) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٩٩٧/٤ (٢٥٨١).

(٥٩) ينظر الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م: ٦٧/١١.

(٦٠) سورة هود: الآيتان ١٥- ١٦.

(٦١) ينظر: معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (ت٥١٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م: ٢٢٣/١٥.

(٦٢) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى ابن أبي السائب من مخزوم، شيخ القراء والمفسرين، علم من أعلام التابعين، ومن كبار أصحاب ابن عباس، توفي سنة (١٠١هـ) وقيل غيرها، وله (٨٣) سنة. ينظر: تهذيب التهذيب: ٤٢/١٠.

(٦٣) ينظر: معالم التنزيل: ٢٢٣/١٥.

(٦٤) سورة محمد: الآية ٩.

(٦٥) ينظر: لباب التأويل: ١٧٥/٦.

(٦٦) سورة محمد: الآية ٢٨.

(٦٧) ينظر: روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي، (ت١١٣٧هـ)، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ: ٤٤٦/٢.

(٦٨) سورة محمد: الآية ٣٢.

(٦٩) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٥/٢٦.

(٧٠) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٥/٢٦.

(٧١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٦/٢٦.

(٧٢) سورة الحجرات: الآية ٢.

(٧٣) هو الاقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي: صحابي، من سادات العرب في الجاهلية. قدم على رسول الله ﷺ في وفد من بني دارم (من تميم) فأسلموا. وشهد حنينا وفتح مكة والطائف. ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله الشافعي اليعمري الأندلسي المصري، المعروف بابن سيد الناس، (ت٧٣٤هـ)، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م: ٢/ ٢٠٥.

(٧٤) أسباب النزول للواحدي:٢٥٨/١. وصحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾، ١٨٣٣/٤، رقم (٤٥٦٤).

(٧٥) سورة الأعراف: من الآية ٢٠٤.

(٧٦) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٢٠٢/٧.

(٧٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٠/١٦.

(٧٨) هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي، خطيب الأنصار، صحابي جليل شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وكان له موقف مشهود يوم اليمامة، واستشهد في تلك المعركة سنة (١٣هـ). ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ٣٩٥/١.

(٧٩) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ ١٨٣٣/٤ رقم (٤٥٦٥)، صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،

(ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ: كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، ١/١١٠ رقم (١١٩) واللفظ له.

المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الاشبيلي المعروف بـ(ابن العربي)، (ت٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، (ت٦٣٠هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٧٧هـ.

٤. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تفسير البيضاوي)، لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي، (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦. أيسر التفاسير، الدكتور أسعد محمود حومد، راجعه محمد متولي الشعراوي، أحمد حسن مسلم؛ قدم له ابراهيم السلقيني، مطبعة أنصار السنة، دمشق، ط٤، ١٤١٩هـ/ ٢٠٠٩م.

٧. البحر المحيط، لأبي عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية، بلا تاريخ.
٩. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٠. تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٢. تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ت٨٥٢هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٣. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٤. التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١٥. تيسير التفسير، لإبراهيم القطان، قام على مراجعته وضبطه: عمران أحمد أبو حجلة، مطابع الجمعية العلمية الملكية، الأردن، ١٩٨٢م.
١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٧. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد، (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
١٩. روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي، (ت١١٣٧هـ)، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.
٢٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢١. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٢. صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
٢٣. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، بلا تاريخ.
٢٤. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله الشافعي اليعمري الأندلسي المصري، المعروف بابن سيد الناس، (ت٧٣٤هـ)، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.
٢٥. الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط٢، بلا تاريخ.
٢٦. فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (ت١٣٠٧هـ)، عني بطبعته وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٢٧. لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بـ(تفسير الخازن)، لعلاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٨. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٦٨م.
٢٩. معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (ت٥١٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٣٠. معجم ابن الأعرابي، لأبي سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي، (ت٣٤٠هـ)، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٣١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ.
٣٢. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٣٣. الوجوه والنظائر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، (ت٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.